# الشرق

لفخر الشعراء ابن الريحاني

— ١ —

أنا الشرق

أنا حجر الزاوية لأول هيكل بنى حياة الله ولأول عرش من عروش الانسان لذلك تراني حتى الظهر ، ولكني قويم الرأي ثابت الجنان

أنا جسر الشمس

من أعماق ظلمات الأكوان الى الافلاك الدائمة الأنوار تصعد كل يوم على كتفي وتكافئني مكافأة جميلة

سأجل ان في جيبي ، وفي يدي ، وفي شعري ، من ذهب الفجر ما لا نظير له في معادن الارض كلها

تزودني الشمس للترحال ، وتزودني البصر أيضاً والجنان ، وأنا على تراني في رحلة دائمة كالكواكب لا تبصر حركتها

إن أين القافلة ، قافلة نفسي ، لتتصل بالجوزاء

وإن آخرها — لست أدري اليوم أين آخرها ؟

فقد يكون واقفاً مستكشفاً في أبواب ليفربول

أو نائماً تحت عرائش الياسمين في سمرقند

او جذاً على ضفاف النيل

او ضائعاً في المادة البيضاء في نيويورك .

ولكني نوع رضي مطمئن ، لأني وإن كنت لا أرى سائق القافلة فإني مبصر قائدها

وإني لأسمع منطقة الأجراس عند المساء

وصوت الرسول يجيئني كل صباح مسلماً
وفي يده ثوب جديد ألبسهُ ليومي
فسبح من لا ينسج إلاَّ لصاحب الجلال ربِّ الليل والنهار

— ٢ —

أنا الشرق
وقد جئتك يا فتى الغرب رفيقاً
فكن صبوراً اذا كنت لا تحسن السكون
إنيَ مثقلٌ أحمالاً لا تراها العين التي ترى الأقطان وتشتهي الثروة والجاه.
ولو رأت عيناك بعض ما أنا حامل لخررت ساجداً وزحت شاهداً
وفي جيوبي أيضاً وقرٌ يدي أشياء من حقول النفس ومن جباهها وأشياء من أغوار الحياة
أشياء ترضي الله وترضي الانسان، وأشياء لا ترضي لا الانسان ولا الله.
منها ما أودُّ نبذه لو استصت ذلك دون ضررٍ يجري صاحب الحقول والمدرعات. ومنها ما أودُّ إخفاءه لو أني لا استحي من نفسي البصيرة. ومنها ما أود اصلاحه لو كان لصناع هذا الزمان ضمير يشفع بالبذ الرحمة وبالعسر اليسر.
وهناك أشياء يا فتى الغرب، لك فيها الخير والسعادة. عندي ما يسكن نفسك المضطربة ويشفيها. عندي ما يشفي ما في قلبك من أمراض التمدن. عندي ما يعيد فيك عدلاً يتجاوز استياءك وحرمة لا يقدسه سواك
عندي ما يقيدك رجلاً وبداً لتبدأ وتستريح فترى السكون اذ ذاك وانطلق منك مطلق، والقلب مطمئن، وتتأمل كذلك أسرار الوجود

— ٣ —

أنا الشرق
لي عروس في الليل القديم البهيم لا تفارقني أبداً
ولي أيضاً في كل يوم بكرٌ من الحسان
تجيئني منطية جواد الفجر

لتخبر البصر مني والجنان
أراها تهتز جوز رحيق حرّياً
وأرى صباي أمامي يهتف للفجر

لجلال الفجر الذي يجري في النفس مثل سلسبيل قضيّ في الخيال فتبدو خلاله الأعشاب خضراء وهي تعانق الحجارة والصخور فتبعث فيها روحاً يستحيل التجاوب عندها نشيد حب وتشويق ، بل نشيد وطن يستفيق

— ٤ —

— أنا الشرق —

أنا شيخٌ يا فتى الغرب الباسل
شيخٌ في موكب الزمان — في موكب الحياة الدنيا
ولكن تسمع صوتاً بل أصواتاً تسمع شبّاً منها اليوم وستسمعها ملكاً غداً
أصواتٌ متصاوبة متناثرة ، إلا أنها من قلب واحد هادئ في حياتي
ركدها ، وطامس في كهلات بلادك
كنت شيخاً في الخلوات ويتراجع في الأماكن المقدسة
وصوت جدد في الصحراء وبلاد جبال تتوارى سكوناً هيباً
وصوت يهمس في أذن أدوائك وغة جديدة مستطلعاً فسادها ومفزاده
وصوت يتراجع سلاماً على وجه المياه في الأنهر المقدسة
وصوت يحس شوقاً في ظلال الحرمين
كهلاً يئنّ ويطنّ في المنابر الجديدة منابر الوطن
صوت ينشد « يوقا » لآلهة من ذهب ذات عيون من زمرد جاحظة
ويتغنى « بوذا » وبالقضاء والقدر في أكواخ البؤس والإثم بالشقاء
وصوت يهتف استحساناً في ملاهي بلادك ، يا فتى الغرب ، وفي مراقصه
كما أنه يحدث في قهوائك ، حول كأس من الخمر ، بأحدث رأي عصري في الجاذبية ، وبأحدث رأي سياسي في عصبة الأمم